طرق اكتساب الإيمان عند الشيخ المولوي " رحمه الله"

أ.د. اميد نجم الدين جميل المفتي

كلية العلوم الإسلامية / جامعة صلاح الدين – اربيل

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٤/١٠/١٢

تاريخ نشر البحث ٢٠٢٥/٠٦/٢٢

الملخص

الشيخ المولوي " رحمه الله " من القامات الكبيرة في العلوم العقلية والنقلية ، وما سطره ببراعته ونظمه باللغات الكوردية والعربية والفارسية خير شاهد على دعوانا ، ولا يخفى تمكنه في علم الكلام ومحاوراته الفلسفية والعقلية و في تشعبات ودقائق هذا العلم . والبحث هذا أخذ على عاتقه الوقوف في مجلس هذا المبجل ، و يأخذ من رشحات علومه ، في مسألة هي الأهم ، ومنها المنطلق ، ويعد غيرها من فروعها ، وهي مسألة اكتساب الإيمان وطرقه . فالإيمان يشترك فيه الوهب والكسب ، وفي كل هناك الفضل من الله تعالى. ثم هناك طرق لهذا الاكتساب ، حصرها الشيخ المولوي في ثلاثة ، وهي : الكشف للخواص ، والاستدلال للعلماء ، والتقليد لعوام الناس والأطفال . ومن الضرورة البحث في هذه الطرق بالبيان والخوض في شيء من تفاصيل كل طريق ، فالشيخ رفع الغمة عنها و وضحها للداني والقاصي.

واستدعى الأمر تقسيم الجهد إلى مبحثين ، أولهما عن الإيمان بين الوهب والكسب وإيراد ما حول الموضوع مما ظاهره يقتضي التعارض والجمع فيه ، ثم يأتي بيان الطرق وتوضيحها عند الشيخ المولوي.

على أمل ان ينال رضى الله أولا ، ثم يقدم لبنة تخدم بنيان علم هذا العالم الجليل. والله المعين.

كلمات مفتاحية : المولوي ، الكورد ، الإيمان ، الكسب ، علم الكلام .

المقدمة

الإيمان بوصفه المنطلق في التدين والأساس المبنى عليه الأديان ، يتم رسم أسس اعتماده بنصوص الشريعة الثابتة ، إلا أن كثرة مباحثه وتعددها وتوسعها من جانب ، وظنية مسائل منها وعدم حسم النصوص لها ، مما أدى بالعلماء إلى الخوض في بحوث منها منذ عهود سابقة ، قد يكون بغاية الترف العلمي عند بعض ، أو ليكون سداً منيعاً يحمل على عاتقه التصدي للهجمات والشبهات الموجهة إلى دائرة الايمان والاسلام باستمرار ، من العدو المحنك أو من الصديق الجاهل.

والشيخ أوالسيد عبد الرحيم بن ملا سعيد المولوي (ت 1882 م) من القامات الكبيرة في ميدان العلوم العقلية والنقلية ، وقد سلك غالباً فيما تركه لنا مسلك النظم والشعر في إبراز علومه ، واستعمل اللغات العربية والكردية والفارسية ،

نظراً إلى تمكنه فيها ، فالنزعة الفلسفية والكلامية والروحية غالبة على أنفاسه العلمية ، وقد حاول في أبيات أشعاره العلمية الجمع بين العقل والنص ، ويفصل بدقة ، ويعرض المسألة على اطلاع للآراء السابقة له .

والموضوع المختار هنا في هذه الدراسة هو : الإيمان ودورانه بين الوهب والاكتساب ، من جانب ، وطرق اكتسابه من جانب آخر .

والموضوع ذو شجون ، حاول الشيخ المولوي بيانه بأقرب الطرق وأيسره ، مراعيا فيه الدقة العلمية .

وقد تم تقسيم الدراسة إلى قسمين ، وفي مبحثين ، وهما : الإيمان بين الوهب والكسب ، والثاني عن طرق اكتساب الإيمان الثلاثة عند الشيخ المولوي ، وهي : الكشف والاستدلال وأخيراً التقليد . يسبقهما الملخص والمقدمة هذه ، وينتهي الأمر بالخاتمة نحاول فيها عرض أهم النتائج والدقائق في البحث .

على أمل أن نقدم بهذا الجهد خدمة متواضعة لهذا العالم الجليل ونبرز شيئاً من دقته وعلمه .

المبحث الأول : الإيمان بين الوهب والكسب

قبل الخوض في تفاصيل البحث عن الإيمان وعلاقته بالوهب أو الكسب ، لابد أن نمهد للموضوع بشيء ، وهو :

إن مصطح (الإيمان) في القرآن والسنة مصطلح عام واسع المدلول ، بحيث يشمل محاور ثلاثة ، وهي : الفكروالمعتقد ، والعمل والجانب التطبيقي ، ثم محور مكارم الأخلاق والخلق الرفيعة.

فأحياناً يطلق الإيمان ويراد به العقيدة ، ومرات يقصد منه الجانب العملي ، وأخرى الأخلاقيات والجانب السلوكي للفرد المسلم .

ففي حديث جبريل "عليه السلام "(مسلم ، بلا سنة ، 36/1 برقم 8) ، أنه صلى الله عليه وسلم عرَّف الإيمان لجبريل عندما سأله بـ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) ، فواضح أنه صلى الله عليه وسلم ربط معنى الإيمان بالعقيدة .

وفي المقابل ورد في القرآن إطلاق الإيمان على الصلاة التي هي عمل من الأعمال ، (وما كان الله ليُضيع إيمانَكُم) (البقرة : 143) ، فالإيمان هنا ، هو : الصلاة ، كما نقله الطبري وغيره في روايات مختلفة عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم، بل نقل القرطبي الاتفاق عليه. ومعنى الآية : إن الله لا يضيع صَلاتكم التي صليتموها من قبل أن تكون القبلة باتجاه بيت المقدس ، فكان المؤمنون قد أشفقوا على مَن صلى منهم إليه قبل الكعبة ، بأن لا تُقبلَ صلاتهم.(ينظر : الطبري ، 2001 ، 650/2 وما بعدها ، ، والقرطبي ، 1964 ، 157/2).

وعندما نقرأ قوله سبحانه وتعالى : (وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)) . وقد عطف العمل الصالح على الإيمان ، نصل إلى أن الآية دليل على أن الإيمان مقدمة العمل الذي هو القناعة ، والعمل هو التنفيذ. فالعمل الصالح من لوازم الإيمان ونتائجه ودليل كماله، فهو شرطه لا شطره ، وعليه لا يدخل في حقيقة مسمّاه المتعلق بالقلب، وعندما نرى إطلاق الإيمان على العمل الصالح ، فهذا من المجاز وسائغ من حيث اللغة ، فالقرآن يقول : (وينزل لكم من السماء رزقا) (غافر 13) ، والذي أنزله الله هو الماء والغيث الذي ينتج الرزق (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ..) (فاطر 27) ،.فسمى الغيث والماء في الآي الأولى باسم ما ينتج عنه . وكذلك العمل الصالح مع اختلافه عن الإيمان إلا أنه نتيجة الإيمان فسمي به .

وهناك الجمع بين المحاور الثلاثة في إطلاق الإيمان عليه ، (العقيدة ، والعمل ، والخلق) كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ ـ أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ ـ شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ) " مسلم ، بلا سنة ، 63/1 برقم 35 ".

فهنا نرى : أن مسمّى الإيمان في السنة والقرآن يشمل: العقيدة والإقرار، والعمل، والخلق الرفيعة ، فهوإذاً : قولٌ وعمَلٌ واعتقادٌ ، ومن جانب آخر : فكر وعمل بدني وقلبي . فحقيقة الإيمان هو: أن لا يجحد ، ولا يستكبر . فمن بنى

بيتاً من غير تأهيله من الداخل للعيش ، يسمى بيتاً من ناحية هيكلية البناء ، بينما لا يسمى بيتاً من ناحية إمكان العيش فيه ، لأنه غير مؤهل من الداخل.

وهنا يمكن الجمع بين الأحاديث التي تنفي الإيمان عمن لا يصلي أو لا يعمل عملا معيناً من أعمال المؤمنين ، وبين من يقتل مؤمنا ويسمى مؤمنا مع هذا العمل المحرم . فالنفي هنا نفي الكمال لا الصحة ، وإثباته من حيث القلب لا العمل المنافي له . قال صلى الله عليه وسلم : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) (مسلم ، بلا سنة ، 67/1 برقم 44) . فالنفي هنا لابد من حمله على الكمال ، وإلا فهو ميزان لايمكن تجاوزه من قبل أكثر المؤمنين. (ينظر : المفتي ، 2023 ، 5 وما بعدها).

ولا خلاف بين العلماء على أن منطلق الإيمان ومنبعه من القلب ، يقول تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ) (الحجرات 14) ، فالأعراب مسلمون ، ولكن لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى ممّا وصلوا إليه ، فأدبوا في ذلك ، فلم يصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد. ويقول تعالى : (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ) (المجادلة 22) وخص القلوب بالذكر لأنها موضع الإيمان ـ كما قاله القرطبي ـ (ينظر : القرطبي ، 1964، 308/17).

فالإيمان إذاً ، هو التسليم والتصديق القلبي مع المحبة ، فلابد من تحقيق أمور حتى يصح إطلاق الإيمان ، وهي: (المعرفة والعلم + التصديق القلبي + والتسليم مع الحُبّ للنبي صلى الله عليه وسلم) ، وبكل قيد من هذه القيود يخرج نوع مما يسمى بالإيمان ، لأننا لا نجد مصداقه بتوفر الشروط والقيود المذكورة ، فلا يمكن لحامله أن يسمى بالمؤمن آنذاك. فلذلك كفرة قريش مع معرفتهم وتصديقهم القلبي لا يسمون بالمؤمنين ، لعدم توفر التسليم مع المحبة القلبية لديهم تجاه الحقائق الإيمانية أو النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك لا يمكن توصيف أهل الكتاب وتصنيفهم ضمن المؤمنين وأهل الإيمان ، لنقص قيد "التسليم بحبّ " لديهم ، مع ما لدى بعضهم من المعرفة والتصديق القلبي العمومي ، وكذلك لا يطلق على الساجد للصنم صفة الإيمان لما في فعله من علامة الإنكار والتكذيب النفسي أو الحسّي. (ينظر : التفتازاني ، 1438 ، 489 ـ 490 ، والمدرس ، 1988 ، 38 وما بعدها) .

وإذا ما أتينا في الموضوع إلى الشيخ المولوي " رحمه الله تعالى " ، فهو يعرّف الإيمان في بداية (مبحث الإيمان) من منظومته ويدخل في مباحثه باللغة الكردية ، (المولوي ، 1988 ، 37 ـ 38) ويقول :

تەعريفى ئيمان، شرعا طالبي
تەصديقە و ئيذعان ، قبوولّى قەلبى
بما قد علم مجيء النبي
به من عند الباريء الرب
ئيعتيقادى بێ يا خۆ عەمەلى
عيلمى ضەروورەت بوێ دەگەڵى
وا بە ديهى بێ بزانێ يەقين
عاميى تێكەڵيچ دەگەڵ موسليمين
مەعناى تەصديقيچ بزانە چى يە :
ئيعتيقاد بەمە (خير البرية)
(فيما أخبر به صادق ، مصدق)
(كما أخبر به) وا ثابتەو حەق
لە بابى عولووم مەعاريف حيساب
نى يە، بۆچ؟ كەثير لە ئەهلى كيتاب
(عرفوا أن خير المنذرين

رسول ، وقد كانوا كافرين)

فالإيمان هو : التصديق والإذعان والقبول القلبي ، لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي ، سواء تعلق بالعقائد أم بالأعمال. ويوضح المقصود من التصديق ، بأنه : الاعتقاد بأن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر به حق وثابت ، وهو صلى الله عليه وسلم صادق فيما نقله لنا وجاء به ، ومعه التأييد الإلهي .
ثم يأتي بعد ذلك ، ويوضح جانباً آخراً من الموضوع ، ويقول : بأن مجرد المعرفة لا يكفي في الإيمان ، ودليل هذا : أن كثيراً من أهل الكتاب مع معرفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وصفوا بالكفر، ولم يدخلوا دائرة الإيمان لعدم وجود القبول القلبي والإذعان لديهم .
ويؤكد على هذا في منظومة (الفضيلة) عندما يقول (المولوي ،2022، 33):

يا أيها الناس اعبدوا ربكم هو الذي خلقكم ، ربكم
لتعبدوه ثم العبادة شجرة مثمرة الإبادة
من غير إيمان ، وما الإيمان ؟ تصديقنا القلبي والإذعان
بكل ما يعلم أن جاء به ضرورة ، نبينا من ربه

وهذا التسليم القلبي أمر معنوي ، قد يكون تحت الاختيار من جانب ، ولكن من جانب ثان لا يقع تحت الإرادة ، فلذلك قد نلاحظ شيئاً من الاختلاط في كلام العلماء في تحديد موقع الإيمان من الكسب أو الوهب ، فهذا السعد التفتازاني (ت 791 هـ) (التفتازاني ،1989 ، 190/5) يعرف الإيمان بأنه : (من الكيفيات النفسية الحاصلة بالاختيار الخالية عن الجحود والاستكبار) ، بينما في شرحه للعقائد النسفية (ينظر : التفتازاني ، 1438 ، 509 وما بعدها ، والمدرس ، 1988 ، 42) لا يشترط الكسب للإيمان ، أو يبرر لمن يرى الاختيار فيه باعتبار إلزامنا وتكليفنا به ، ولا يقع التكليف إلا بما هو داخل في الاختيار وصوب أفعال اختيارية باتفاق العلماء ، فالاختيار والتكليف بالإيمان يقع في مباشرة أسبابه وصرف النظرإلى هذه الأسباب ورفع الموانع ، وبمعنى آخر : أن الله أجرى عادته على خلق الإيمان عقيب أفعال اختيارية مخصوصة ، ومن هذا المنطلق أو من هذه الحيثية يصح التكليف بالإيمان ، فنفس الإيمان ليس اختياراً بينما تحصيله فيه الاختيار، أو في عدم مقابلته بالرد والإنكار أيضاً هناك اختيار، كما وضحه وفصله الخيالي (ت 861 هـ) ، والكستلي (ت 901 هـ) ، ورمضان أفندي (ت 979 هـ) ، في حواشيهم على شرح التفتازاني للعقائد النسفية (ينظر : الخيالي ، 1438 ، 509 وما بعدها ، والكستلي ، 1438 ، 509 وما بعدها ، و رمضان أفندي ، 1438 ، 509 وما بعدها).
وابن القيم الجوزي (ت 751 هـ) يرجح الوجهين فيه عندما يقول (الجوزية ، 1996 ،375/2) : (واختلف فيه: هل هو كسبي أو موهبي ؟ فقيل: هو العلم المستودع في القلوب يشير إلى أنه غير كسبي. وقال سهل: اليقين من زيادة الإيمان ولا ريب أن الإيمان كسبي. والتحقيق: أنه كسبي باعتبار أسبابه موهبي باعتبار نفسه وذاته).
وقد أدرك الشيخ المولوي هذا الأمر، وبين الموضوع عندما يقول (المدرس ، 1988 ، 45و46) :

ئیمان عەرەضە ، وکەیفی نەفسانی
نەک بە ئیختیار فیعلی ئینسانی
بەڵام ئەسبابی تەحصیلی یەکسەر
گشت ئیختیارین ، وەک صەرفی نەظەر
تەکلیف بە ئیمان بێ ئیختیاری
لە هەوری سەطوەت (باری) ئەر باری
وە بادی تەکلیف بەو ئەسباوەسە
ئیمانیچ سەوزەی ئەو سەراوەسە

وەردی هەفت گاسن زۆر نەختی تەوێ
بێ دۆچ و هەرێز ، شۆرەکات نەوێ
سا نەر سەوزی کرد فەضڵێکە هەیە
وەرنە چ لزووم ؟ مەزرەعەی خۆیە

فخلاصة ما سرده في هذه الأبيات ، هي: أن الإيمان هو من قبيل الأعراض لا الجواهر ، والمقصود من العرض ما يعتمد على غيره في قيامه ووجوده وله الحاجة إلى غيره لظهوره مثل اللون والريح ، بينما الجوهر ما يقوم بذاته من غير الاعتماد أو الحاجة إلى غيره مثل الحجر والشجر. وكذلك الإيمان من الكيفية النفسانية أي من الصفات المتعلقة بالنفس مثل الحياة التي هي من الأمور الوهبية لا الاختيارية ، فلا يشمله التكليف لعدم إدراجه تحت القدرة والاختيار. ولكن الشيخ المولوي على علم بأن هذا الكلام يرد عليه الإشكال ، لأن الإيمان مع كونه من العلم والعرض والكيفية النفسانية ومن الأمور التي لا تقع تحت الاختيار، فكيف ورد الأمر القرآني به ، كما في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله...) (النساء : 136) ؟

وللجمع بين الأمرين ، يقول : بأن أسباب الإيمان هي المأمور بها ، وهي التي لا تكون من الوهب ، بل من الاختيار والكسب . فالوهب الذي هو نفس الإيمان لم يتوجه الأمر إليه ، بل إلى طريقه وأسبابه التي تقع تحت الكسب والاختيار من النظر والتفكر في الكون والآفاق والنفس والتأمل في معجزات الأنبياء وصدقهم. وبهذا رفع الإشكال وجمع بين الأشتات في الموضوع .

وكون نفس الإيمان من الوهب لا الكسب ، يدعمه كثير من الأدلة ، وهودليل محبته تعالى للعبد ، فلذلك يمن به الله علينا ، فقد ورد في القرآن منة الله على خلقه من المكلفين في أمرين ، وهما:

أولاً: في الإيمان بقوله :(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (الحجرات17) .

فقد ورد أن قوما كانوا يقولون : أنا أسلمنا بغير قتال لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان, فقال الله لنبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : قُلْ (لهم) لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ.

ثانياً: ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما كلف به من أعمال تجاه الأمة ، بقوله : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (آل عمران164).

وقد أخرج الحاكم في المستدرك بسند صحيح ووافقه الذهبي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال ، قال صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ) (الحاكم ، 1990 ، 485/2 ، برقم 3671).

وهذا لا يعني أن يبدي الإنسان الاعتراض ، بل هذا من الغيب أولاً ويتعلق بعلم الله تعالى ، ثم إن الله مهد الطريق للإيمان ، فالمطلوب أن نسلكها وأن نجتنب طريق الكفر والضلالة ، وأتت الأمارات والبراهين على إثبات صواب طريق الهداية وسهولته الفكرية.

ولم يكتف الشيخ المولوي بالجمع العلمي هذا ، بل يقرر المسألة ويوضحها بالمثال ، ومعلوم مكانة التمثيل في القرآن والسنة لزيادة التقرير للحق ، فشبه القدرة الإلهية بالمزن والسحاب ، والتكليف الموجه إلى البشرية بالمطر والماء النازل من هذا المزن ، وشبه القلب المدرك بالأرض التي تنبت بسبب المطر. وكما يتعلق حصول المزن بالهواء والرياح ، كذلك توجيه الأمر من الله للإيمان وتحصيله مثل هذا الهواء أو الريح التي يخلق السحاب بسببها .... وهكذا

يفصل في الموضوع ، ويطيل في البيان وينتهي إلى أن الزرع ونشأته كله من فضل الله وبمحض قدرته وإرادته ، وكذلك شأن الإيمان ، وإن يتوجه المرء إليه باتخاذ الأسباب ، إلا أنه يأتي بإرادة الله وفضله إلى القلب ويستقر فيه.

ولم يترك الأمر في فضيلته (المولوي ، 2022 ، 33 و 34) ، عندما قال :

وهو كيف ، عرضٌ نفساني ليس بالاختيار للإنسان

فكونه معلقَ الإيمان بسبب التكليف بالأسباب

فالتصديق كيف وعرض نفساني ، وليس تحت مقدور الإنسان ، ولكنه اختياري باعتبار تحصيله ، فلذلك هو متعلَّق الخطاب والتكليف الالهي وليس باعتبار نفسه .بل التكليف به بسبب التكليف بأسبابه المؤدية إلى حصوله كالنظر في الآفاق والأنفس وفي أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم . والدليل على كونه من العلم التصديقي الأمر به في القرآن ثم اكتسابه بالاستدلال ، مع ملاحظة شرط مقارنته بالفعل القلبي الذي هو التسليم والرضا ، حتى لا يكون هناك مجال للعناد والجحود (ينظر : المدرس ، 1972 ، 52 و 53) .

المبحث الثاني : طرق اكتساب الإيمان

لما انتهى الشيخ المولوي من الكلام عن الإيمان بين الكسب والوهب ، شرع في أنواع الإيمان ، أو طرق اكتسابه ، وهو موضوع ذو شجون وتشعبات وتفصيلات ، نظراً لدقة مسائل الإيمان ودوران العقل وتطوافه في تحليلاته . وقد حصر الشيخ المولوي طرق الكسب للإيمان ، في ثلاثة ، هي :

1. الكشف والرؤية.
2. الاستدلال .
3. التقليد .

عندما قال (في : المولوي ، 1988، 50) :

موكتەسەب دەوێ ئیمان بێ تەردید

لە کەشف، لە دەلیل، یاخۆ لە تەقلید

ويؤكد عليه في الفضيلة (المولوي ، 2022 ، 34) عندما قال :

يكسب بعد الفضل والتأييد من كشف ، أو برهان ، أو تقليد

ولكن ينبغي التنبيه إلى أن هذه الطرق ليست في المستوى الواحد ، بل تكون الأولوية حسب تسلسلها وفق ما أوردها ، فكشف الحقيقة هو الأول ، ثم يأتي الوسط الذي هو الاستدلال ، والأخير هو الأخير في الرتبة الذي هو التقليد. إذ قال (المولوي ، 1988، 50):

ئەوەڵ ئەعلایە، دووەم ئەوسەطە

تەقلیدی ئەدنا ، ڕوتبەی مونحەطە

فالإيمان ـ كما سبق ـ لما كان فيه جانب الفضل الإلهي وجانب الاكتساب ، ومن وجهتين مختلفتين ، أبرز جانب الفضل والتأييد في الموضوع لأنه الأهم ، وشرع في عرض أهم الأسباب عنده . وكل طريق يحتاج إلى شيء من التفصيل ، في الآتي :

أولاً : الكشف :

ويراد به في اللغة : رفع الغطاء عن الشيء وبيانه وظهوره ، فهو رفعُك للشَّيْءَ عَمَّا يُواريه وَيُغَطِّيهِ. (ينظر : إبن منظور ، 1414 ، 9 / 300)

ويتم كشف الشيء ومعرفته عند الشيخ المولوي وفي اصطلاحه عن طريق : القلب والبصيرة ، أو العين والباصرة .

وفي هذا الموضوع جمع بينهما ، فيأتي في بداية الموضوع الكشف القلبي لخبايا الأسرار الغيبية، ثم يأتي بعده وفي مرتبة لاحقة الكشف بالعيان. وهو أقوى من الدليل والبرهان ، فتصرف الحاجة آنذاك إلى الدليل والبرهان أو التقليد. وأكد على الكشفين في أبيات أخرى تلي ما أوردناها فيما سبق في الفضيلة ، وهو يقف على الموضوع أكثر عندما قال (المولوي ،2022، 34):

لعلك استنبطت أنه نطق برتب الإيمان ما منا سبق
ما كان أعلى رتب الإيمان ما كان عن كشف وعن عيان
دعها لأصحاب الصفاء والوفا هم شاربون شرب هيمٍ للجفا
راضون ، رائضون بالقضاء أنفسهم في أوسع الفضاء

ولا يترك الموضوع بهذه السهولة ، بل يأتي إليه من جانب آخر ويفصّل أكثر ، ويحاول أن لا يكون كلامه مجرد رأي مطروح ، فيأتي بالشاهد المعاصر له ، ويذكر نموذجاً واحداً من هؤلاء القوم الذين اعتمدوا الكشف في طريق الإيمان ، فيذكر شيخه الشيخ محمد بهاء الدين ابن الشيخ عثمان سراج الدين "رحمهما الله تعالى ". (ينظر للتفصيل في : المولوي ، 2022، 34 ، والمدرس ، 1972، 57و 58) .

وطريقة أخذ هذا الكشف القلبي ـ كما نبه إليه الشيخ المدرس ـ هو بالتماس سبيل خواص عباد الله ممن وصلوا إلى مرحلة الاستغراق في مراقبة الله في أحوالهم ، ويصلون إلى الكشف بالعيان أيضاً والتربي والسلوك في مدارسهم التربوية الايمانية (ينظر : المدرس ، 1972، 54) ، ومعلوم سمو هذه المرحلة الإيمانية ، وقد وصل إليها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في معراجه ، حتى صار جميع أصول الإيمان في مرآه ومسمعه صلى الله عليه وسلم، وقد بين الأستاذ النورسي هذه الحقيقة ، عندما يتكلم عن ثمرات وفوائد المعراج ، وجعل الثمرة الأولى منه هي : (... رؤية حقائق الأركان الايمانية، رؤية عين وبصر، أي: رؤية الملائكة والجنة والآخرة، بل حتى رؤية الذات الجليلة، فهذه الرؤية والمشاهدة الحقة وهَبَت للكائنات اجمع وللبشرية خاصة خزينة عظيمة لا تنفد، ونوراً أزلياً لا يخبو، وهدية ابدية ثمينة لا تقدّر بثمن؛ إذ أخرج ذلك النور الكائنات قاطبة مما يُتوهم أنها تتردى في اوضاع فانية زائلة مضطربة أليمة.. واظهرها على حقيقتها؛ أنها كتابات صمدانية، ورسائل ربانية قدسية، ومرايا جميلة تعكس جمال الأحدية. مما أدخل السرور والفرح في قلوب جميع ذوي الشعور بل ابهج الكائنات كلها) (النورسي ، 2011، 682).

فمسألة الرؤية البصرية ممّا لا يستهان بها في تقرير القلب واستقراره ، وفي القرآن بيان لهذا المبحث ، فحينما نقرأ قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ (البقرة: 260) ، تأخذ الآية الكريمة بأيادينا إلى مسائل دقيقة إيمانية ، منها : مراتب اليقين ، ومنها : ما للحسّ من أهمية في إفادة العلم واليقين وازدياده ، وإمكان أن يشارك الحس في شؤون القلب وتقرير الحقائق الإيمانية فيه عن طريقها ، لمن تفضل الله عليهم بزيادة فضل ، فالحقائق الإيمانية حقائق ثابتة ، ومن الأدلة على هذه الحقيقة أن الحواس قد تصل إليها ، بل هناك ممن وصلوا فعلاً .

فإبراهيم "عليه السلام " مع ما كان عليه من الرتبة العالية بين الأنبياء ، ومع أن الله يكلمه ويخاطبه مباشرة ، ويتلقى هوعن الله تعالى الخطاب والوحي ، طلب الزيادة ، ولا يدخل سؤاله هذا باب الإنكار أو الشك أبداً، بل كان الطلب للكشف الذي هو من الأعالي في طرق كسب الإيمان ، ينقل الامام الطبري في الموضوع : أن مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ، كانت ليرى عياناً ما كان عنده من علم ذلك خبراً. (ينظر: الطبري، 2001 ، 5/ 487).

ونستطيع أن نقول أن إبراهيم تعوَّد أن يريه الله الأشياء الغريبة ، ومن هنا ورد سؤله وطلبه لرؤية إحياء الموتى ، يقول سبحانه (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (الأنعام 75) أي : نُريه ما تحتوي عليه السموات والأرض من ملك عظيم، فالملكوت بمعنى الملك العظيم ، أو بمعنى خلق السماوات والأرض ، وأراه الله قدرة باهرة، ليكون من الراسخين في الإيمان. أو : أراه الله تعالى كل هذا ليزيد العلم واليقين . (ينظر : المفتي ، 2023، 10).

ثانياً : الاستدلال :

والطريق الثاني من الطرق الثلاثة للإيمان هو الاستدلال ، والدليل في اللغة بمعنى : ما يدلك على الشيء ويسهل خطوات الوصول إليه (ينظر : إبن منظور ، 1414 ، 11/ 248 وما بعدها) .

وقد ذكر الشيخ المولوي في هذا الخصوص مصطلحان ، يختلفان شيئا في المعنى الدقيق وفي قربهما من اليقين ، وهما (الدليل والبرهان) ، فالدليل الموصل إلى الشيء عندما لا يتطرق إليه الشك والاحتمال يسمى (البرهان) ، وهو المقبول في الاعتقادات ، وذكره الشيخ المولوي في بداية أبيات ، يقول فيها (المولوي ، 2022 ، 34) :

أوسطها ما كان عن برهان لأبحر تموج بالمعاني

ولكن مر علينا في أول الموضوع ، أنه سمى البرهان في عقيدته المرضية بالدليل ، (المولوي ، 1988، 50) :

موكتەسەب دەوێ ئیمان بێ تەردید

لە کەشف، لە دەلیل، یاخۆ لە تەقلید

ومعلوم من خلال ما ذكره في الفضيلة أن مراده من الدليل ، ما يفيد اليقين الذي هو البرهان.

والاستدلال بالممكن على الواجب أو بالواجب على الممكن المسمى في كتب علماء الكلام بالدليل اللّمي ـ وهو الاستدلال بالمؤثر على الأثر أو بالعلة على المعلول ـ ، أوالإنّي ـ وذلك الاستدلال بالأثر على المؤثر أو الذهاب من المعلول إلى العلة ــ ، دليل قرآني لإثبات حقيقة الربوبية والألوهية وباقي أركان الإيمان ، وقد كشف عن ساعد الجد في هذه الحقيقة العلماء والمدققون.

فالشيخ المولوي يروى غليله في الموضوع بذكر نماذج ممن عملوا بجد وإخلاص في هذا الشأن كسابقه من الكشف ، فيذكر (في: 2022، 35) من هؤلاء : الإمام الماتريدي ، والإمام الأشعري، وكذا يتوج الموضوع بذكر شيخ له في العلوم من شيوخه الكورد ، وهو على معرفة به عن قرب ، ويذكره بجلاء كبير ، وهو الشيخ الملا أحمد النودشي (ت 1302 هـ) ، الذي حظي بمكانة مرموقة في هذا الشأن ، بل هو ـ عند الشيخ المولوي ــ ممن وصلوا إلى المرتبة الأولى في الحقائق الإيمانية ، وهي مرتبة الكشف والعيان ، لمنزلته العلمية والإيمانية ، (ينظر: المولوي ، 2022 ، 35 ، والمدرس ، 1972، 60 وما بعدها) .فمما قاله فيه (في2022، 35):

رزق الارتقاء حتى ارتقى إلى اللقاء باللقاء والبقا

فنرى من خلال النافذتين السابقتين ، أن الشيخ المولوي كان على تواصل روحي وقلبي مع شيوخه ، ويذكر فضائلهم ولا يترك ما لهم من مميزات من خلال الفرص السانحة ، ففي الأول من طرق الإيمان استدل بالشيخ محمد بهاء الدين ، وهنا عند كلامه عن المرتبة الوسطى ، أخذ بأيدينا إلى عالم جليل ، عاش معه المولوي ، وتأكد أن له هذه المرتبة الفائقة من العلم والإدراك القلبي والإيماني ، رحمة الله عليهم جميعاً.

فلا إشكال ولا خلاف في هاتين الطريقين : الكشف والاستدلال ، لحصول اليقين التام بهما في المباحث الإيمانية ، لأنه من المعلوم أن من مشاكل الإيمان ، والتي علينا مواجهتها والاستعداد لها ، أنه : لابد أن يكون يقينياً ، لا ظناً أو شكاً أو ريباً.

واليقين : هوالاعتقاد الجازم ، وهو على مراتب ، فهناك العلم والعين والحق في اليقين وفق المصطلح القرآني. ولإثبات أن الإيمان يجب فيه اليقين والعلم لا غيره :(وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) ﴿٤البقرة﴾ دليل في الموضوع، ويقول سبحانه :(وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) ﴿٥٠ المائدة﴾ ، وقوله : (فاعلم أنه لا إله إلا الله) (محمد 19) والخطاب الموجه هنا إليه صلى الله عليه وسلم ليزيده اليقين الخبري ، كما عنده اليقين الاستدلالي كما قاله الماوردي.

فلا يمكن قبول الشك ، الذي هو: اعتدال النقيضين وتساويهما. وهو مذموم في المعتقدات ، لأنه ضرب من الجهل ، إذ يتأتى إما عند عدم الدليل ، أو عند التساوي بين الدليلين لكلا الجانبين ، يقول سبحانه وتعالى في موضع بيان حال الكفار : ﴿بل هم في شك يلعبون﴾ (الدخان /9). ويذمهم في آية أخرى بقوله: (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) ﴿١١٠ هود﴾ أي : إن الكفار من اليهود والمشركين هم في شك ، وكذلك لديهم الريب في شأن القرآن وبخصوصه. فجمع لديهم وأمامهم هناك الشك والريب ، وللفرق بين الشك والريب ، يمكننا أن نقول : أن النظر إليهم يكون من طرفين ، من طرف الكفار أنفسهم ، أو من الطرف الثاني الآخر وهو القرآن.

فمن طرفهم وبسبب عدم وجود الدليل والأمارة لديهم على تكذيب الوحي ، هم في شك. ولكن لما ننظر إليهم من الطرف الثاني ومن جانب وجود البراهين الدامغة على صدق القرآن والوحي ، فهم من أهل الريب. والريب : هو التوهم بشيء أمراً ثم يتبين خلاف ما توهمته . أي المرجوح من الاحتمالات لبيان الدليل بخلافه. ولذلك نفي الريب عن القرآن والقيامة في أكثر من آية في القرآن الكريم ، لوجود الحجج والبراهين على صدقهما ، يقول سبحانه :(ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ﴿٢ البقرة﴾، ويقول (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ) ﴿9 آل عمران﴾، ويقول: (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ)﴿٨٧ النساء﴾.

والظن : عند أهل اللغة من الأضداد ، وهو: ترجيح احتمال على الآخر . ولكن لابد من التنبيه إلى أن الظن إذا أريد به اليقين فهو يقين تدبر لا عيان ، لأن يقين العيان يسمى بالعلم. والظن قد يأتي بمعنى الشك ، وقد يكون بمعنى اليقين ، أو يحسب له حساب اليقين ـ كما سبق النقل في ذلك عن التفتازاني في شرح المقاصد ، وهو الظن الغالب ـ ، وقد ورد في القرآن الظن وعلى المعنيين. بل في القرآن أكثر من أربعين كلمة من الأضداد كما وقفت عليها الطالبة (سلمى حسن أحمد البدوي) في رسالتها المقدمة للماجستير ، وعنوانها (الألفاظ المتضادة في القرآن الكريم) ، والمقدمة إلى جامعة الخرطوم ، سنة 2010 م ، وقد وقفت الباحثة على (48) كلمة قرآنية من الأضداد .

والظن الذي بمعنى الشك ، فهو مذموم في العقيدة وفيه التهمة والاتهام ، يقول تعالى : (إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ) (النجم 23) ، ويقول :(وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا) (النجم 28) ، أى : إنهم ليصفون الملائكة بالأنوثة ، والحال أنهم لا علم لهم بتكوين هؤلاء الملائكة ، أو بصفتهم ، وإنما يتبعون الظن الباطل فى أقوالهم وأحكامهم، (وَإِنَّ الظن لاَ يُغْنِي مِنَ الحق شَيْئاً) أى : وإن الظن الباطل ، والاعتقاد الخاطىء لا يغنى فى معرفة الحق شيئاً ، حتى ولو كان هذا الشىء قليلا ، أو أن الظن لا يغني عن العلم فيما المطلوب فيه العلم شيئاً. لأن العقائد السليمة ، لا تبنى على الظنون والأوهام ، وإنما تبنى على الحقائق الراسخة والعلوم الثابتة.

أما الظن الوارد بمعنى اليقين أو القريب منه ، وهو الغالب فمقبول ، يقول تعالى مثنياً على المؤمنين: (يظنون أنهم ملاقوا ربهم) (البقرة 46) بمعنى : يتيقنون.

وهذا بخلاف المسائل الفرعية ، فالظن المجرد وغلبته مقبول فيها ، وعليه بني الخلاف الفقهي بين العلماء ، لا الوهم.

ثالثاً : التقليد :

والطريق الثالث لاكتساب الإيمان ، هو التقليد ، الذي يعني : (العمل بقول الغير من غير حجة) في اصطلاح الأصوليين (الشوكاني ، 1999، 2 / 239) ،أو :(أخذ قول الغير من غيرمعرفة دليله). (الزحيلي ، 1997 ،1120/2) .

والتقليد في الأصول أو في الاعتقاديات ، المراد به فيما يتعلق بذات الله تعالى ، وصفاته ، و أنبيائه "عليهم الصلاة والسلام "، وما علم من الدين بالضرورة ، كأركان الإيمان والأركان الخمسة للإسلام . (ينظر: الشوكاني ، 1999، 241/2 ، والزحيلي ، 1997، 2/ 1122).

وحكم هذا النوع من التقليد موضع خلاف بين العلماء ، نظراً إلى أن كل أحد يلزمه الوصول القلبي واطمئنانه والتسليم القلبي في خصوص الإيمان ، ثم يأتي التسليم البدني الذي هو شرط في الإيمان لا شطره ، ويترتب على تحمل الإيمان التوصيف به ، فيقال (المؤمن) بينما الذي لا يحمله يوصف بـ (الكفر) الذي هو نقيض الإيمان . فالذوق الروحي والقلبي ، لا يمكن سرايته من أحد إلى الآخر ، نعم ، يمكن التأثير والتأثر بما في قلب الآخر ، إلا أن تحول حقيقة هذا الذوق منه تماماً إلى غير حامله غير ممكن ، فلذلك صار موضع نقاش ورد وقبول ـ بشرطه ـ عند العلماء.

وعموما أورد الشيخ المولوي التقليد من طرق اكتساب الإيمان ، عندما قال (المولوي ، 1988، 50) :

موكتەسەب دەوێ ئیمان بێ تەردید
لە کەشف، لە دەلیل، یاخۆ لە تەقلید

ويقول في فضيلته (2022 ، 34) :

يكسب بعد الفضل والتأييد من كشف ، أو برهان ، أو تقليد

وقد سبق ان أوردنا قوله في مرتبة الإيمان التقليدي ، وهي الثالثة والأدنى والأخيرة ، فقد قال أيضاً في موضع آخر من الفضيلة عن رتبة الإيمان بالتقليد وأهله وحكمه ملخصاً (في 2022، 35) :

والرتبة الأدنى له هي التي عن بور تقليد السوى نبتت
فإن سقاه فيض خالق القوى أخرج شطأه إلى أن استوى
فكل رتبة لها رجال لهذه العوام والأطفال

وهذا الإيمان أو الإيمان بالتقليد وبالاعتماد عليه يمثل له ويجعله من نصيب العوام والأطفال ، لفقد القدرة العلمية والتمييز الدقيق من لدنهم . بيد أنه مع ذلك فهو على أن من سقاه الله من هؤلاء بالفيض وأغدق عليه النعمة ، يرقي به ويجعله زرعاً ونباتاً مستوياً، أي يحظى آنذاك بالقبول . فنرى عند الشيخ المولوي مع أن الإيمان بالتقليد هو الأدنى ، إلا أنه قد يكون من الإيمان المقبول إذا حظى بفضل من الله ، شأنه شأن الفضل في أنواع الإيمان الأخرى ، فالكل في حاجة إلى الفضل.

وقد صار مسألة إيمان المقلد موضع تعدد الرأي عند العلماء ، يمكن تلخيص هذه الأقوال في الموضوع في الآتي (ينظر: الباجوري ، 2002، 77) :

أ . لايجوز التقليد في العقائد ، بل يحرم ، ويكون المقلد كافراً .
ب . يحرم التقليد، ولكن إيمانه يفيده مع العصيان مطلقاً ، سواء كان للمقلد أهلية النظر أم لا.
ج . يجوز التقليد مع العصيان ، إن كان المقلد من أهل النظر ، وإلا فلا عصيان .
د . يجوز التقليد للقرآن والسنة القطعية ، لاتباع المقلد القطعي ، ولا يجوز تقليد غيرهما.
هـ . ترك التقليد أولى، لأن النظر شرط كمال،وعليه يصح إيمان المقلد ومن غير عصيان مطلقاً.
و . إيمان المقلد صحيح ، بل يحرم عليه النظر ، وهذا محمول على المخلوط بالفلسفة.

فإشكال التقليد يرد في سؤال مفاده :

لما كان معتمد الإيمان هو اليقين أو الظن الغالب الذي هو في حكم اليقين كما أثبته الشيخ التفتازاني (ينظر: التفتازاني : 1989، 5/ 218) ، فكيف يمكن الاعتماد على التقليد الذي هو خال منهما ، لكونه مجرد المحاكاة ؟ فحكم الإيمان التقليدي عند الشيخ يمكن تلخيصه في الآتي :

في بداية الأمر، الشيخ المولوي أورد الإيمان التقليدي ضمن طرق الاكتساب ـ كما سبق ـ ، إلا أنه ربطه بالفضل الإلهي ونزول الرحمات بصدده ، ولكن هذا القول لا يترك على عمومياته ، بل يحتاج التحقيق العلمي فيه إلى شيء من الإطالة ، فالشيخ يطيل في بيان المقبول من الإيمان التقليدي ويوضح شرط قبوله ، بقوله (في : 1988، 50) :

روتبەی تەقلیدی دەگەڵ جەزمی دڵ

صەحیحە وحاصڵ هیچ نییە موشکیل
بە قەولی موختار هەیە موعتەبەر
ئەرچی عاصی وێ بە تەرکی نەظەر

فمناط قبول الإيمان التقليدي هو الجزم القلبي ، فمتى ما حصل هذا الجزم ، كان الإيمان إيماناً مقبولاً ولا إشكال فيه ، إلاّ أنه لا يعني هذا عدم إثم الشخص واكتفاؤه بالتقليد في إيمانه ، فعليه السعي للترقية بإيمانه إلى المرتبة الوسطى ، وهي الاستدلال ، ويأثم إذا ترك النظر ولم يهتم . ومعلوم أن الاستدلال يختلف من شخص لآخر، كما بينه الشيخ المدرس ، فلا يكون هناك بستان منظم من غير صاحب ومالك يديره ، فكيف بالجبال والأرض وكل هذه الأجرام السماوية والمخلوقات الأرضية ؟ (ينظر : المدرس ، 1988، 52) .

وللتأكيد على هذا يقول في الفضيلة (2022 ، 34) :

واختير قول أكثر الفحول : امتنع التقليد في الأصول
وأنه صح بجزم المضمر وإن عصى بتركه للنظر

وعليه : فلا يقبل في الإيمان التقليد المحض والتحاكي المجرد ، فلا بد أن يكون لدى العالم والعوام من الناس من الدليل والبرهان ما يطمئن إليه قلبه ويسكنه إجمالاً أو تفصيلاً حسب المقدور وحسب تحقيق الغاية ، ومن هنا فالإيمان ورسوخه في القلب ممكن وغير متعذر للعالم ومن دونه من العوام ، فلا يشترط كون المؤمن محيطاً بالعلوم والفنون ، بل نستطيع أن نقول أنه يكفيه ما يُسأل عنه في القبر: (من ربك ؟ وما دينك ؟ وماهذا الرجل الذي بعث فيكم ؟) كما ثبتت الأسئلة هذه في سنن أبي داود بسند صحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه (ينظر : أبو داود ، بلا سنة ، 239/4 برقم 4753) ، بل هناك في الحديث الصحيح الاكتفاء في السؤال بنطق الشهادتين ، أو بما صح في حديث جبريل " عليه السلام" ، ولذلك فقد قال القرطبي : إن هذا الاختلاف باختلاف أحوال الناس ، فمنهم من يقتصر في السؤال عنه على بعض المعتقدات ، ومنهم من يسأل عن أكثر (ينظر : القرطبي ، 1425، 358 ، والمفتي ، 2023 ، 10 وما بعدها) .

ومن هنا فإن المهم في الأمر اليقين وسكون القلب والاطمئنان ، سواء ورد إليه عن طريق العلم ، أو عن طريق التقليد في البداية ، فلا تحصر معرفة الله والإيمان به وبالأصول الأخرى في طرق المتكلمين وأهل العلم المتعمقين، بل تكفي العموميات وما هو ضروري في الإيمان.

والقرآن أتى بأسلوب سهل ممتنع في عرض الإيمان وحقائقه ، وربطه بما في محيط الناس من السماء والأرض والمطر والجبال والإبل والفصول وغيرها . فلا إيمان بالتقليد المحض ، بل يطلب الدليل الإجمالي في حقهم . يقول الشمس السمرقندي : (من لم تبلغه دعوة الإسلام ، فإن اعتقد وحدانية الله تعالى وعدله ، فحكمه حكم المسلمين ، وهو معذور في جهله بأحكام الشرع ...) (السمرقندي، بلا سنة ، 463).

ولذلك لما سألت لجنة الإفتاء في المملكة الأردنية عن الدليل ولزومه للمقلد ، أجابت : (وينبغي أن يُعلم أنّ الشرع لم يشترط على المكلف أن يعرف الله تعالى بالنظر التفصيلي في الدلائل والمسائل، بل أوجب النظر الإجمالي فقط، وهو ما لا يخلو عنه عوام الناس من المكلفين، فكلهم يستدلّ في نفسه - وإن لم يتلفظ بلسانه- على وجود الله بحسب مستواه وقدرته، ولو فُرض وجود مكلف لم ينظر البتة، أي لم يبحث في الدليل، بل كان مقلداً محضاً، فإنهم يعدّونه مقصراً في بعض ما يجب عليه من التكاليف الفرعية، فيكون بذلك مؤمناً عاصياً، وقد أشار العضد الإيجي إلى الاكتفاء بالنظر الإجمالي، فقال: "فمن كان مصدقا حقيقة، كان عالماً بهذه الأمور كلها، وإن لم يكن له تنقيح الأدلة وتحريرها، فإنّ ذلك ليس شرطاً في العلم والخروج عن التقليد" [المواقف 3/ 548]. وعليه؛ فإنّ الإسلام يوجب على المكلّف حتى يكون مؤمناً أن يصدّق بالله تعالى عن جزم ويقين، ولا يقبل منه مجرد تخمين ظني قلبي أو وجداني لا يقوم على أساس، ولو قارن ذلك التزامٌ بالأخلاق والمكارم والأفعال الحسنة في الظاهر. والله تعالى أعلم). (من موقع دار الإفتاء الأردنية : https://aliftaa.jo/Question.aspx?QuestionId=) .

ومن هنا فقد وصلنا إلى الرأي المقبول في الموضوع ، وهو : أن الأولى عدم التقليد ، ولكن العامي لما كان ليس من أهل النظر ، فيحتاج الى التقليد ، وليس له إلا ذلك . والعلماء الذين قالوا بالحرمة ، ليس إلا لعدم استقرارالإيمان وجزمه في القلب بالتقليد ، لانعدام البرهان والدلائل لدى المقلِد. ولكن قد يكون ويحصل استقرار الرأي واطمئنان القلب من غير معرفة الأدلة ، (ينظر : المفتي ، 2008 ، 123) ، يقول التفتازاني (التفتازاني ، 1989، 218/5 وما بعدها) : (ذهب كثير من العلماء وجميع الفقهاء إلى صحة إيمان المقلد ، وترتب الأحكام عليه في الدنيا والآخرة ، ومنعه الشيخ أبو الحسن والمعتزلة ، وكثير من المتكلمين . حجة القائلين بالصحة : أن حقيقة الإيمان هو التصديق ، وقد وجدت من غير اقتران بموجب من موجبات الكفر ...) ثم يطيل إيراد الأدلة وتحليلها ، إلى أن يصل إلى أن مراد النفي نفي كمال الإيمان . وهذا الإمام الشوكاني (ت 1250 هـ) يقول في هذا الشأن (الشوكاني ، 1999 ، 2 / 242) : (ومن أمعن النظر في أحوال العوام وجد هذا صحيحاً ، فإن كثيراً منهم نجد الإيمان في صدره كالجبال الرواسي ، ونجد بعض المتعلقين بعلم الكلام ، المشتغلين به الخائضين في معقولاته التي يتخبط فيها أهلها ، لايزال ينقص إيمانه ، وتنتقض منه عروة عروة ، فإن أدركته الألطاف الربانية نجا ، وإلا هلك ، ولهذا تمنى كثير من الخائضين في هذه العلوم ،المتبحرين في أنواعها ، في آخر أمره ، أن يكون على دين العجائز ....).

إذاً لابد من التمييز بين المقلِد الجازم بصحة وصدق قول الغير جزماً قوياً ، بحيث لو رجع المقلَد لم يرجع هو ، وبين غير الجازم بصدق قول الغير ، بحيث لو رجع المقلَد لرجع المقلِد ، فهو في تردد من أمره وشاك فيه . فالمقلِد الجازم يصح إيمانه ، ولكنه آثم لترك النظر إن كان من أهله ، والثاني إيمانه غير صحيح على اتفاق بين العلماء . ومعلوم أن الأحكام الدنيوية كالنكاح والإرث وما إلى ذلك تثبت بالإقرار ، أمّا الأخروية من دخول الجنة وعدم الخلود في النار ، فهذا يتوقف على نوعية التقليد ، وحال المقلِد.(ينظر: الباجوري، 2002 ، 80).

الخاتمة

في نهاية هذه الجولة العلمية ، نحاول تلخيص ما توصلنا إليه في الآتي :

1. يعد الشيخ المولوي من العلماء البارزين في مجال الكلام والفلسفة والتصوف الإسلامي ، وقد قدم الكثير في هذه المجالات من العلم ، واستعمل لغات : الكردية والعربية والفارسية ، وعن طريق الشعر والنظم .
2. هناك نصوص من الشريعة تفيد أن الإيمان من الكسب ، بينما هناك في المقابل ما يفيد أنه من الوهب الإلهي ، وقد سلك الشيخ المولوي كالحذاق من الأئمة مسلك الجمع ما أمكن ، ويقدمه على مسلك الإفراط أو التفريط في القبول أو الرد ، ودقق في الموضوع وانتهى إلى : أن الإيمان من الكسب ولذلك مما يكلف به الفرد وذلك من حيث اتباع مسالكه والأعمال الموصلة إليه ، بينما هو من الوهب باعتبار نفسه وذاته ، فهو منحة إلهية غيبية خاصة ، وفضل من الله.
3. حدد الشيخ المولوي طرق اكتساب الإيمان في : الكشف ، ويبدأ بالقلبي ثم يأتي العيني ، أو بعبارة أخرى بالبصيرة أولاً ثم بالبصر من بعدها ، وهو يخص أهل الله الخاصة . ثم هناك طريق الاستدلال ، وهو ديدن العلماء وأهل العلم . وأخيراً يأتي التقليد الذي هو من عمل عوام المسلمين والأطفال. وهناك التقليد في البداية والجزم النهائي ، وهذا من الطرق المقبولة . ودرجات هذه الطرق وفق إيرادها ، فالأول أولى وأهم ، ثم يأتي الاستدلال ، ومن بعده التقليد الذي هو الأدنى من الكل ، ويطالب صاحبه بالاستدلال والنظر كي يصعد إلى المرتبة العالية.
4. مما انتهجه الشيخ المولوي في بيان طرق اكتساب الإيمان ، أنه يذكر أسماء بعض شيوخه المعتبرين من الكورد للقسمين الأهمين ، وهما الكشف والاستدلال ، فذكر منهم ممن تحلوا بالإيمان على الطريق الأول الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي ابن الشيخ محمد عثمان سراج الدين ، وممن تمثل بهم للطريق الثاني الملا

أحمد النودشي وهو من شيوخه كذلك ، بل بعد أن ذكره من أصحاب هذا الطريق يأتي من جديد ويدرجه كذلك ضمن الصنف الأول أو الطريق الأول من المسلكين .

5. وقف الشيخ المولوي بشيء من التفصيل في موضوع الإيمان التقليدي ، وانتهى إلى أن إيمان المقلد مقبول إذا ما حصل المقصود ، الذي هو الجزم القلبي للحقائق الإيمانية ، فغاية ما في الإيمان الجزم القلبي والتسليم، وإذا ما حصل الأمران فالإيمان موجود ، على الرغم من أنه يكلف العامي بشيء من الاستدلال والنظر حسب وسعه وما في إمكانه ولا يعفى في ذلك ، بل يأثم بتركه ، كي يصعد به إلى المرتبة الثانية التي هي مرتبة العلماء ، والقرآن خير معين لمن يريد الوسط وهو الاستدلال ، لأنه أتى بكثير من الاستدلالات السهلة الممتنعة تلائم فطرة طبقة العوام ، كما هي تنشط عقول أهل الاستدلال من العلماء لدقتها.

المصادر والمراجع

ـ بعد القرآن الكريم .

1. ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي(ت 751 هـ) ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ط.3 ، بتحقيق : البغدادي ، محمد المعتصم بالله ، دار الكتاب العربي – بيروت 1996م .
2. إبن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت 711 هـ) ، لسان العرب ، ط. 3 ، دار صادر ، بيروت 1414 هـ .
3. أبو داود ، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، المحقق: عبد الحميد ، محمد محيي الدين ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .
4. الباجوري ، برهان الدين إبراهيم بن محمد الجيزاوي الباجوري (ت 1276 هـ) ، حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ، المسمى بـ : تحفة المريد على جوهرة التوحيد : تحقيق وتعليق : الشافعي ، د. علي جمعة محمد ، ط 1 ، دار السلام ، القاهرة ـ مصر 2002 م.
5. التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت 791 هـ) ، شرح العقائد النسفية : ط. 1 ، مكتبة سيدا ، ديار بكر ـ تركيا 1438 هـ .
6. التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله (ت 791 هـ) ، شرح المقاصد ، منشورات الشريف الرضي ، ط. 1 ، 1989م.
7. الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ، المستدرك على الصحيحين : تحقيق: عطا ، مصطفى عبد القادر ، ط. 1، دار الكتب العلمية – بيروت1990م .
8. الخيالي ، أحمد بن موسى شمس الدين(ت 831 هـ) ، حاشية الخيالي على شرح العقائد للتفتازاني "مجموعة حواشي العقيدة النسفية" : ط. 1 ، مكتبة سيدا ، ديار بكر ـ تركيا 1438 هـ .
9. رمضان أفندي ، رمضان بن محمد أفندي (ت 979 هـ) ، حاشية رمضان أفندي على شرح العقائد للتفتازاني "مجموعة حواشي العقيدة النسفية" : ط. 1 ، مكتبة سيدا ، ديار بكر ـ تركيا 1438 هـ .
10. الزحيلي ، د . وهبة ، أصول الفقه الإسلامي : ط 1 ، دارإحسان للنشر والتوزيع ، طهران 1997م .

11. شمس الدين السمرقندي ، محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي (ت 690 هـ) ، الصحائف الإلهية ، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه : الشريف ، د. أحمد عبد الرحمن ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الرياض ، بلا سنة.
12. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت 1250هـ) ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول : ، تحقيق: عناية ، أحمد عزّو ، ط 1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان 1999م .
13. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : تحقيق: د. التركي ،عبد الله بن عبد المحسن ، ط.1 ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع 2001م .
14. القرطبي ، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671 هـ) ، الجامع لأحكام القرآن ، بتحقيق: البردوني ، أحمد ، وأطفيش ، إبراهيم ، ط. 2 ، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٨4 هـ ـ ١٩٦٤ م.
15. القرطبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت ٦٧١هـ) ، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، 358 ، تحقيق ودراسة: د. إبراهيم ،الصادق بن محمد ، ط. 1، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض ، ١٤٢٥ هـ .
16. الكستلي ، مصلح الدين مصطفى بن محمد القسطلاني الحنفي(ت 901 هـ) ، حاشية الكستلي على شرح العقائد للتفتازاني "مجموعة حواشي العقيدة النسفية" : ط. 1 ، مكتبة سيدا ، ديار بكر ـ تركيا 1438 هـ .
17. المدرس ، الشيخ عبد الكريم بن محمد(ت 2005 م) ، الوسيلة في شرح الفضيلة في علم أصول الدين للعلامة السيد عبد الرحيم الكردي الملقب بالمولوي (ت 1882 م) : ط. 1 ، مط. الإرشاد ، بغداد 1972م.
18. المدرس ، الشيخ عبد الكريم بن محمد(ت 2005 م) ، شرح وتعليق وتحليل عقيده ى مرضية : ، ط. 1، مط. الخلود ، بغداد 1988م.
19. مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١ هـ)، صحيح مسلم : تحقيق: عبد الباقي ، محمد فؤاد ، ط. القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، بلا سنة .
20. المفتي ، د. أميد نجم الدين جميل ، رسالة عن تقليد المقلد لغير مذهب إمامه للشيخ محمد التوكلي الكوردي ـ دراسة وتحقيق ـ : بحث منشور في مجلة (زانكو للعلوم الإنسانية) المحكمة التابعة لجامعة صلاح الدين ـ أربيل ، وفي عددها (33) لسنة 2008م.
21. المفتي ، د. أميد نجم الدين جميل ، مباحث إيمانية ، ط.1 ، مكتبة سروش ، أربيل 2023م .
22. موقع دار الإفتاء الأردنية: (https://aliftaa.jo/Question.aspx?QuestionId= .
23. المولوي ، السيد عبد الرحيم بن الملا سعيد (ت 1882م) ، عقيده ى مرضية : شرح وتعليق وتحليل : المدرس ، الشيخ عبد الكريم المدرس (ت 2005 م) ، ط. 1، مط. الخلود ، بغداد 1988م.
24. المولوي ، السيد عبد الرحيم بن الملا سعيد (ت 1882م)، الفضيلة: إعداد : القرداغي ، محمد علي ، ط. 1، مط. جامعة صلاح الدين ـ أربيل 2022م.
25. النورسي ، بديع الزمان سعيد ، الكلمات ، ط. 6 ، دار سوزلر ، القاهرة ، 2011م .

Summary

Sheikh Al-Mawlawi, may Allah have mercy on him, is one of the prominent figures in rational and traditional sciences. His extensive writings and compositions in Kurdish, Arabic, and Persian languages stand as the best testimony to our cause. His mastery in theology, philosophical discussions, and intricate details of this field is undeniable. This research undertakes the noble task of delving into his revered council, drawing from the wellsprings of his knowledge, particularly focusing on the most crucial matter: the acquisition of faith and its methodologies. Faith is a combination of inheritance and personal endeavor, with every aspect ultimately attributed to the grace of Allah Almighty. The Sheikh categorizes the methods of acquiring faith into three: revelation to the elite, guidance from scholars, and imitation by the common folk and children. It is imperative to thoroughly investigate these methods, elucidating each pathway's nuances and intricacies. The Sheikh clarifies and sheds light on these methods comprehensively, leaving no ambiguity for both the learned and the laymen.

The necessity arose to divide the effort into two sections: firstly, regarding the nature of faith between inheritance and personal endeavor, discussing apparent contradictions and reconciliations. Then, elucidating the methods and clarifications thereof by Sheikh Al-Mawlawi.

May Allah's pleasure be sought first and foremost, with the hope that this work serves as a cornerstone in the edifice of knowledge in this esteemed realm. And Allah is the Helper.

پوختە

سەیید عبد الرحیمی مەولەوی ، یەکێکە لە زانا باڵاکان لە زانستە عەقڵی و نەقڵیەکاندا ، و باشترین بەڵگەش بریتیە لەو هۆنراوە زانستیانەی بە زمانە جیاجیاکانی ، عەرەبی و کوردی و فارسی داینناوە لە بواری فیکر و عیلمی عقائد و کەلام و فەلسەفە.

ئەم تۆێژینەوە ئەوەی لە ئەستۆ گرتووە چمکێك لەو زانین و زانستە پڕ بەهایانە بخاتە ڕوو ، لە بابەتێکی گرنگ کە سەرچاوەی دەسپێکردنە لە ئایینداریدا ، ئەوەش بریتیە لە بابەتی ، بیروباوەڕ لە نێوان بەخششی خودایی و کۆششی بەندەدا ، و کۆکردنەوەی هەردوو چەمکەکە لەو بابەتەدا ، بە دوو ڕوانگەی جودا. و دواتر گفتوگۆ لەسەر هۆکارەکانی دەست خستنی بیروباوەڕ ، کە شێخی مەولەوی کورتی کردۆتەوە لە سێ ڕێگا ، کە : دەرخستن و ئاشکرابوون کە بەش و بەخششە بۆ تایبەتانی بەندەکانی خودا، وبەڵگە هێنانەوە کە تایبەتە بە زانایان ، وشوێنکەوتن و چاولێکەری کە تایبەتە بە گشتیی موسوڵمانان و منداڵان .

وا پێویست بوو تۆێژینەوەکە بکرێتە دوو باس و لە پێشیانەوە سەرەتا و لە کۆتاییدا کۆتایی دابنرێت .

بە هیواین توانیبێتمان کارێکی بە سوود پێشکەش بکەین و خزمەتێکمان بەو زانایە کردبێت . خودا هاوکارە .